مداخلة بني حسان تونس والمغرب من خلال الوثائق الارشيفية

د .عاطف سالم – باحث في التاريخ الحديث - بجامعة المنستير

04.06.2023

شكرا سيدي رئيس اللجنة مرحبا بكم وبجميع السادة الحضور في فضاء دار الثقافة بني حسان في اطار مهرجان خيمة سيدي سالم كل الشكر على هذه الدعوة والشكر موجه لكل المنظمين والمشرفين على هذا المهرجان المغاربي .

تعالج هذه المداخلة موضوعا تم نسيانه ولسنوات عديدة ضمن البحوث الاجتماعية في الأوساط المغاربية ، وهو إعادة البحث عن تاريخ المدن أو القرى و التجمعات القبلية في بلاد المغارب والتي برزت تمظهراته المختلفة في مجالات متعددة ، بل وقوة حضوره كمعطى فاعل في تحريك الأحداث استدعى منا إعادة استنطاقه من جديد ، واستحضار الأجهزة المفاهيمية التي عولجت بها هذه الظواهر التاريخية ، والتي أظهرت قصورا في تفسيرها وفهمها ، وعليه فإن هذه المداخلة تقترح قراءة واقعية للمعطي القبلي وكيف تطور نحو التحضر والانصهار في بوتقة التعاملات فيما يسمى بتلك المعاملات بين المركز و علاقته بالمحلي .

ونأخذ مثالا على ذلك مدينة بني حسان بكل من تونس والمغرب الشقيقة وكيف استطاعتا تاريخيا أن تتموقعا في الفضاء الاجتماعي والجغرافي وأن تتركا لنا لاحقا مجموعة قيمة من الوثائق الأرشيفية التي تستدعي من مؤرخ اليوم الغوص فيها والبحث عن ما يسمى بالتاريخ المجهري (Micro histoire) .أكيد لا ندعي هنا أننا سنعالج الموضوع من جوانبه

كلها ولكن حسبنا أننا سنفتح ثغرة فيه ونلفت السادة المستمعين الى بعض الجزئيات الغير معروفة مع التنبيه الى أن تاريخ مدينة بني حسان التونسية وحتى المغربية وتاريخ بلاد المغارب عامة يحتاج الى مزيد من البحث والتنقيب وهذا التنقيب يختلف بحسب الظروف والفترات الزمنية سنغوص في صميم الموضوع وسأحاول تقسيم هذه المداخلة الى قسمين (قسم يعنى ببني حسان التونسية منشأها من خلال المصادر والأرشيف وقسم ثاني يعنى بوثائق ومصادر قبيلة بني حسان المغربية) مع الحرص دائما على الإشارة للاختلافات وأوجه التشابه في بعض الأحيان .

تقع مدينة بني حسان جنوب غرب المنستير على بعد حوالي 25 كلم ويعود تأسيسها الى الحقبة الإسلامية من تاريخ البلاد التونسية على يد حسان ابن نعمان الذي هزم الكاهنة سنة 707 م وتقدم المعطيات التي دفعتنا الى البحث عن تاريخ المدينة وتطورها، و التي استقيناها من المصادر الأثرية التاريخية والأرشيفية على الأخص وقد قدم الأستاذ محمد صالح الصيادي حول المنستير العديد من المعطيات حول المجال الجغرافي والمجموعات السكانية المستقرة بقرى المنستير في أواسط القرن التاسع عشر نقلا عن أطلس المدرسة الحربية بباردو والتي تنقسم لثلاثة مجموعات أساسية (أولاد سيدي عبد المؤمن وأولاد سيدي سالم وأولاد سيدي أبي

الطيب) و قد تمت الاشارة لوجود خمس زوايا من بينها زاوية سيدي أبي الطيب وجامع أما من منظور أستاذنا محمد حسن فقد أكد أن بني حسان هي قرية حفصية وأن زاوية سيدي أبي الطيب معلم حفصي أما الأستاذ ناجي جلول فقد أشار الى أن التوطن بالقرية كان سابقا و يعود ذلك الى العصور القديمة مستشهدا في وجود آثار قديمة بمنطقة تسمى " البليدة " الواقعة خارجة قرية بني حسان على طريق الفايض .ومن خلال المصادر المكتوبة والمخطوطات التي نشرت لاحقا منها كتاب الأجوبة لأبي القاسم عظوم فقد أورد لنا نازلة تخص ابنة المرابط محمد بن الطيب الذي عرف بالشيخ الحساني والتي تعود الى تاريخ فيفري 1597 وهي تمثل للمؤرخ التونسي أقدم إشارة لاسم " بلد بني حسان " أوائل العصر الحديث . أما الإشارة الثانية فنجدها في مؤسسة الأرشيف الوطني التونسي وذلك بالدفتر الجبائي عدد 1 والمؤرخ بسنة 1676 م وهو ما يؤكد لنا أخيرا أن بلد بني حسان كان معمرا بالسكان ويتمتع باستقلالية جبائية أما المعطى الثاني في الأرشيف الوطني فهي تعود الى القرن الثامن عشر وذلك من خلال وثيقة تحبيس هنشير سيدي حمد هذا الهنشير الواقع خارج بني حسان على زاوية سيدي أبي الطيب ويعود تاريخها الى سنة 1717م.

اما القرن التاسع عشر فتسعفنا الوثائق الارشيفية بالعديد من المواضيع منها عدد السكان الذي وصل سنة 1857 م حوالي 1000 ساكن وكان لعرش أولاد سيدي سالم حضور قوي. من هذا المنطلق، نريد الإشارة وأن نأكد الى أن مؤسسة الأرشيف الوطني التونسي تزخر بالعديد من الوثائق والدفاتر الجبائية والشكاوي و أحداث الجلسات في في دفاتر الظبطية (الشرطة) والعديد التي ساحاول تقديم البعض منها وجل هذه الوثائق هي مفتوحة للجميع للتصفح وأخذ نسخ من الملفات العامة والخاصة وتكون بذلك الإفادة حاصلة للجميع وما في يالي نقدم لمحة عن طبيعة الوثائق الارشيفية ومواضيعها من سنة 1864–1960 م .

مطالب من أهالي بني حسان موجهة إلى إدارة الأوقاف تتعلق ببناء صومعة لجامع قرية بني حسان	Arabe	1914	1904	FPC-D-0068-0010
مطالب أهالي بني حسان لتعيين مدرس بجامع بلدهم	Arabe	1936	1909	FPC-D-0051-0020
مراسلات تتعلق بتسمية عمر بن محمد بالحاج علي بن ساسي الحساني إمام جامع بني حسان وطلب تحسين أجرته	Arabe	1958	1902	FPC-D-0027-0006
أمر تسمية رجب بن علي زعبوب إمام جامع بني حسان	Arabe	1936	1885	FPC-D-0025-0029
رسوم أصول زيتون ببلد بني حسان لوقف الحرمين الشريفين	Arabe	1934	1894	FPC-C2-0020-0118
حجج في مواضيع مختلفة و شكاوى موجهة الى شيخ بني حسان من عمل جمال	Arabe	1936	1885	FPC-JT3-0003-0079
شكاوى سببها التفويت في أوقاف بالبيع أو الإستيلاء عليها ومطالب مغارسة بمنطقة بني حسان	Arabe	1954	1909	FPC-C-0072-0001-0032
مراسلة تتعلق بطلب الزيادة في عدد عدول بني حسان	Arabe		1911	FPC-B1-0223-0005-0006
ملفات إدارية لمشائخ بني حسان من ولاية سوسة	Français	1964	1948	FPC-A-0291-0012-0067
بيان مداخيل أوقاف منطقة بني حسان المتأتية من كراء العقارات وبيع الغلال ومصاريفها المنفقة على القيام والإصلاح والتسيير هذا مع بيان تلخيص لحساب ما تعاطاه وكيل هذه الأوقاف قبضا وصرفا	Arabe		1902	FR-RJH-11393-FONDS_39548

FPC-D-0093-0011-0001	1918	1924	Arabe	ملف إداري لعمر الشطي وكيل وحسن بن علي بن عمر بن ساسي الحساني شيخ زاوية سيدي عبد المؤمن ببني حسان
FPC-D-0093-0007-0004	1910	1933	Arabe	مراسلات تتعلق بمحاسبة شيوخ ووكلاء زاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان
FPC-D-0093-0007-0003	1918	1956	Arabe	مراسلات تتعلق بمحاسبة شيوخ ووكلاء زاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان
FPC-D-0093-0007-0002	1951	1957	Arabe	مراسلات تتعلق بمحاسبة شيوخ ووكلاء زاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان وتنازل أحفاد الزاوية عن مناباتهم لبناء مدرسة
FPC-D-0093-0007-0001	1913	1938	Arabe	ملف إداري لمحمد بن عمر بن الحاج محمد بن ساسي شيخ ووكيل زاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان
FPC-D-0093-0003-0005	1914	1959	Arabe	مراسلات تتعلق بمحاسبة شيوخ ووكلاء زاوية سيدي أبي الطيب ببني حسان
FPC-D-0093-0003-0004	1948	1954	Arabe	ملف إداري لعلي بن محمد بلحاج صالح شيخ ووكيل زاوية سيدي أبي الطيب ببني حسان
FPC-D-0093-0003-0003	1928	1950	Arabe	ملف إداري لسالم بن محمد بن علي السويح الحشاني شيخ زاوية سيدي أبي الطيب ببني حسان
FPC-D-0093-0003-0002	1908	1926	Arabe	ملف إداري لصالح عمر بن أحمد الحمروني شيخ ووكيل زاوية سيدي أبي الطيب ببني حسان
FPC-D-0093-0003-0001	1893	1908	Arabe	ملف إداري لمحمد بلحاج صالح الضميد وكيل زاوية سيدي أبي الطيب ببني حسان

مطلب من أهالي بني حسان من عمل المنستير ببناء مسجد بدشرة الخنانشة	Arabe	1947	1946	FPC-D-0068-0080
ملف إداري لصالح بن علي بن محمد فتح الله الحساني شيخ بني حسان	Arabe	1936	1920	FPC-A-0162-0009-0005
ملف إداري لصالح بن الحاج محمد الشويخ شيخ بني حسان	Arabe	1925	1923	FPC-A-0162-0009-0004
ملف إداري لصالح بن محمد بن إبراهيم بالحاج شيخ بني حسان	Arabe	1923	1919	FPC-A-0162-0009-0003
ملف إداري لمحمد بن محمد بن صالح الحباط شيخ بني حسان الشمالية	Arabe	1953	1948	FPC-A-0162-0009-0002
ملف إداري ليونس بن الطيب بن الحاج محمد الشويخ شيخ بني حسان	Arabe	1945	1935	FPC-A-0162-0009-0001
مراسلات تتعلق بتقسيم مشيخة بني حسان إلى مشيختين قبلية وجوفية	Arabe	1948	1946	FPC-A-0162-0001-0003
ملف إداري لمحمد بن الحاج أحمد بن محمد العجيمي شيخ بني حسان الشمالية	Arabe	1919	1912	FPC-A-0150-0054-0003
ملف إداري لأحمد بن إبراهيم بن الحاج علي المحجوب شيخ بني حسان الشمالية	Arabe	1913	1901	FPC-A-0150-0054-0002
ملف إداري لمحمد بن الحاج صالح الضميد شيخ بني حسان	Arabe	1911	1890	FPC-A-0150-0054-0001

بيان مداخيل أوقاف منطقة بني حسان المتأتية من كراء العقارات وبيع الغلال ومصاريفها المنفقة على القيام والإصلاح والتسيير هذا مع بيان تلخيص لحساب ما تعاطاه وكيل هذه الأوقاف قبضا وصرفا	Arabe	1896	1895	FR-RJH-11391-FONDS_39544
بيان مداخيل أوقاف منطقة بني حسان المتأتية من كراء العقارات وبيع الغلال ومصاريفها المنفقة على القيام والإصلاح والتسيير هذا مع بيان تلخيص لحساب ما تعاطاه وكيل هذه الأوقاف قبضا وصرفا	Arabe	1895	1894	FR-RJH-11389-FONDS_38256
بيان المصاريف الشهرية المعتبرة والغير معتبرة بالميزان لأوقاف منطقة بني حسان والمنفقة على مرتبات الموظفين و القيام والإصلاح هذا مع تقسيمها إلى فصول مختلفة وتحديد نوعية وتاريخ المصروف وبيان تلخيص لحساب ماتعاطاه وكيل هذه الأوقاف قبضا وصرفا	Arabe		1917	FR-RJH-10092-FONDS_38010
بيان المصاريف الشهرية المعتبرة وغير المعتبرة بالميزان عن وقف سالم بن نويرة ببلد بني حسان	Arabe	1924	1924	FR-RJH-11665-11665
مراسلات تتعلق بمعاوضة زيتون وأرض ببني حسان	Arabe	1942	1912	FPC-C-0071-0001-0026
مراسلات تتعلق بتسمية شيخ بزاوية سيدي عبيد ببني حسان	Arabe	1946	1945	FPC-D-0093-0041
مراسلات تتعلق بترميم زاوية سيدي عبد الله ببني حسان	Arabe		1925	FPC-D-0093-0037
مراسلات تتعلق بمحاسبة شيوخ ووكلاء زاوية سيدي عبد المؤمن ببني حسان	Arabe	1957	1904	FPC-D-0093-0011-0003
ملف إداري لعلي بن صالح بن علي الشطي شيخ زاوية سيدي عبد المؤمن ببني حسان	Arabe	1948	1942	FPC-D-0093-0011-0002

أمر علي ومراسلات تتعلق بتسمية يوسف بن أحمد بن يوسف تاج حساني شيخ الطريقة العيساوية بزاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان	Arabe	1948	1939	FPC-D-0137-0041-0003
أمر علي ومراسلات تتعلق بتسمية فرج بن حسن المحجوب شيخ الطريقة العيساوية بزاوية سيدي سالم الغلام ببني حسان	Arabe	1926	1924	FPC-D-0137-0041-0002
أمر علي ومراسلات تتعلق بتسمية عمر بن علي ساسي شيخ الطريقة العيساوية بزاوية سيدي عبد المؤمن ببني حسان	Arabe	1924	1922	FPC-D-0137-0041-0001
مراسلة تتعلق بشكوى صالح بن سالم بوسعدية ضد العدل ببني حسان محمد بن الحاج صالح الصميدي الذي دلس عقد شراء أصول زيتون	Arabe		1895	FPC-B1-0223-0005-0011
مراسلات تتعلق بتخطية العدلين ببني حسان محمد بن علي السويح ومحمد بن الحاج صالح بن دادة لإرتكابهما بعض المخالفات	Arabe	1897	1895	FPC-B1-0223-0005-0010
مراسلات تتعلق بالإعلام عن وفاة العدل ببني حسان محمد بن الحاج صالح الحميدي وإقالة محمد بن علي السويح لإرتكابه جملة من المخالفات	Arabe	1908	1900	FPC-B1-0223-0005-0009
مراسلة تتعلق بتسمية محمد بن الحاج صالح بن دادة الحساني عدلا ببني حسان	Arabe		1883	FPC-B1-0223-0005-0008
مراسلات تتعلق بتسمية محمد بن محمد حوالة عدلا ببني حسان	Arabe		1930	FPC-B1-0223-0005-0007
ملف إداري لأحمد بن حمودة بوزاوش عدل ببني حسان	Arabe	1942	1906	FPC-B1-0223-0005-0005
ملف إداري لمحمد بن علي الشويخ عدل ببني حسان	Arabe	1902	1896	FPC-B1-0223-0005-0004

اذن هذا كل ما يخص مدينة بني حسان التونسية في الوثائق الارشيفية وأهم المواضيع التي وجدت بها خلال أواخر العصر الحديث وبداية الفترة المعاصرة والتي حاولت الدولة الاستعمارية الاستفادة من حضور سكانها وخيراتها غير أن رجال الحركة الوطنية والمناضلين تصدوا لها بتضحياتهم وقاوموا المستعمر الفرنسي كمثلهم من باقي المناضلين بجهة الساحل التونسي. انتقل الان للحديث عن ...

<u>بني حسان – المغرب – لمحة تاريخية جغرافية لقبيلة بني حسان :</u>

في القسم الثاني من هذه المداخلة سنتناول جوانب هامة من تاريخ المغرب الشقيق وبالأخص بعض المعطيات المرتبطة بقبيلة بني حسان التي تقع بين مدينتي تطوان وشفشاون وبعد التدقيق في بعض النصوص المصدرية اذ تعد قبيلة بني حسان من القبائل الجبلية الذائعة الصيت بشمال المغرب فهي تتواجد تحديدا جنوب إقليم تطوان وتحدها من الجنوب قبيلتي بني حزمر وبني سعيد ومن الغرب بني ليث وبني عروس اما من جهة الشرق فقبيلة بني زجل الغمارية وجنوبا قبيلة الاخماس . وتتكون من ثلاث جماعات قروية " الحمراء " / الواد / ولاد علي منصور ومنهم من يضيف جماعة بني ليث. يغلب في جغرافياتها المرتفعات الجبلية والهضاب فهي تتموضع بين مجال قبائل جبالة حاليا هذا المجال الذي يقع بين منطقتي (غمارة و الهبط) ولا يختلف اثنان في أن اسم قبيلة بني حسان عربي الأصل فحسان من الأسماء العربية المشهورة"حسان" وكما يعلم الجميع نسبة إلى الفاتح حسان بن النعمان القائد المسلم الذي فتح المغرب. وقد نزلت بها قبائل بني ليث في هذه المنطقة، وقد ذكر إبن خلدون هذه القبيلة ضمن نطاق قبائل غمارة المصمودية وقد ذكرت بني حسان وقبائلها من طرف الجغرافي الاندلسي البكري وحتى ابن خلدون في القرن الرابع عشر ليتحدث عن القبيلة وتتشكل حسب المصادر والوثائق النسب بني حسان الى مجموعات وهي فرقة بني علي (بني عمران – بطارة وازمور وبني موسى أفقرن . أما فرقة الخمس فتتكون من ماجو أولاد علي منصور وبني صابر اما الفرقة الثالثة فتتكون من جماعة الواد جماعة أسلان وجماعة أشروطة جماعة الغابة وجماعة أهلاا ومن بين الزوايا زاوية سيدي عيسى الحاج زاوية سيدي علي البختي .

ولقد شاركت قبيلة بني حسان مع قبيلة بني يزناسن في الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، إثر احتلاله لشرق المغرب سنة 1907. وانخرط العديد من أفراد قبيلة بني حسان في تنظيم المقاومة وجيش التحرير بمدينة وجدة، إثر اندلاع ثورة الملك والشعب ضد الاستعمار الفرنسي. لقبيلة بني حسان باع طويل في محاربة المستعمر ، وقد ذكرها ابن الوزان باسم بني حسن ووصف رجالها بشدة وجرأتهم الكبيرة في المقاومة ،.قبيلة بني حسان تتكون من ثلاث فرق تطابق حدودهم التقسيم الإداري الحالي لجماعات إقليم تطوان، ففرقة بني علي تطابق حدود جماعة الحمراء، ثم فرقة بني مهارون التي تمتد عبر حدود جماعة الواد وأخيرا فرقة الخمس التي تشكل الحدود الشرقية للقبيلة وتشغل معظم مساحة جماعة ولاد علي منصور. والسائل أن يسأل من الباحثين في مجال بلاد المغارب عن تاريخ قبيلة بني حسان بالمملكة المغربية عليه اللجوء الى المؤسسات الارشيفية والمكتبية ومن أبرزها المكتبة العامة والمحفوظات تطوان مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة. وهي من أهم المكتبات في المنطقة ، في ثرائها الوثائقي يجعلها مساحة أساسية للقراءة والبحث في مجال تاريخ المغرب ، والعلاقات مع بلدان المغاربية الأخرى ، ولا سيما شبه الجزيرة الأيبرية ، مع العالم العربي والإسلامي. أُنشئت هذه المؤسسة عام 1939 ، وسميت بمكتبة المحمية ثم في عام 1956 ، أصبحت واحدة من أهم المؤسسات الثقافية في شمال المغرب في عام 1999 ، بالشراكة مع وكالة التعاون الإسبانية ، تم تجديدها وتحديثها لنصل سنة 2001 ، ليتم افتتاحها رسميا من قبل الملك محمد السادس ، وأصبحت ملاذ الباحثين الجامعيين تحتوي هذه المكتبة على واحد من أهم المصادر الوثائقية في المملكة المغربية الشقيقة تضم أكثر من 50000 كتاب و 3500 عنوان دوريات و 2400 مخطوطة و 2200 كتاب نادر و 497 مطبوعة حجرية و 616 خريطة و 52 فيلمًا قديمًا و 1429 قطعة نقدية قديمة و 45000 صورة تاريخية. وتتنوع الارشيفات والوثائق وهي مصنفة حسب القبائل التي ذكرناها وفي علاقتها بسلطة الملك ودفع الجباية ومواضيع تخص المتاجرة وعلاقة الأسواق الداخلية بأسواق المدن شفشاون وزان طنجة العرائش وتصل حتى الى الحسيمة في اطار مبادلات تجارية بين القبائل والمدن الكبرى اذن تمثل مثل هذه المعطيات في الحقيقة مدى ثراء تاريخ المملكة المغربية الشقيقة خلال العديد من المراحل

والتقسيمات التاريخية التي هي بالنسبة لنا كباحثين في تاريخ المغرب وحضارته مهمة للغاية مهمة من ناحية فهم التفاعلات الاجتماعية وشبكة العلاقات السياسية التي برزت في عدة محطات تاريخية خاصة في الفترة الوسيطة مع الدولة الموحدية وعقيدة محمد ابن تومرت وتكون الجيش الذي قدم من المغرب الى تونس وبالتحديد مدينة المهدية بقيادة عبد المؤمن بن علي الذي حاصر النورمان وطردهم وتم تسمية وال على المدينة واكاد أجزم حسب رأيي أن مرحلة التعمير الثاني لمدينة بني حسان بالسكان جاءت مع هذه الحملة ناهيك أن عدد كبير من الجيوش الموحدية استقرت بجمال وخاصة أكبر دليل على ذلك ما قدمته لنا المصادر التاريخية والمحدثين وحتى الأثر المعماري الموحدي الذي وجدناه في أقدم جامع في مدينة جمال وهو جامع المراكشية ولما لا نتحدث من هذا المنطلق عن تعمير ثاني للمنطقة.

أخيرا هذه جولة بين منطقتين ضاربتين في القدم لهما وزن تاريخي بدرجة أولى وحضاري بدرجة ثانية لما لهذه المناطق من تعمير سكاني مزال اكيد في طور التطور والانسياق مع ما يشهده العالم اليوم من العولة والتطور التكنولوجي ورغم هذا كله فلا يسعنا أن نتشبثنا بجذورنا التاريخية وأن تكون لنا ثقافة الوعي والحفاظ على موروث الجهة سواء كان شفويا او كان مكتوبا وهذا ما تسعى اليه المؤسسات الوطنية ومؤسسات الدولة في الحفاظ على وثائقها الرسمية حتى تكون للأجيال خير دليل على التشبث في هويتهم العربية الإسلامية المغاربية .

———————————————